

## أكبر مدرج مُغطى في العالم!

### بسام صابور

العادي في أي مدينة سوريّة، أن بلاده كما في الرسم (تحت النص) هي بناء أسطواني مصمت أسود، كان يحكمنا نصف قرن، مستخدماً خوفنا الجيني الذي نشأ على مرّ العصور على شرقي المتوسط، والذي لم يبق غازٍ في الدنيا، من الشرق والغرب والشمال والجنوب، إلا واحتلّه وترك علامة فيه تذكّر به، لذلك نجد في عاديّاتنا وآثارنا كل هذا الفن! وهذا الإنسان الذي عليه أن يبقى على قيد الحياة ليطلع أولاده، هذا عليه التأقلم وتعلم الصمت، والصراخ الداخلي، والعُصاب، ومرض القلب، وارتفاع الضغط. نحن نعلم اننا كملكة النمل التي تعتقد أنّها العالم! ولكنّ العالم هو الغابة والأشجار والحيوانات الصغيرة والكبيرة، ويحكمها صاحب الغابة. هو الذي يحدّد ويُقسّم ويُزيل وينفى ويُنمي ...

في كتابه النبي يكتب خليل جبران خليل<sup>١</sup>:

«ليتني أستطيع أن أجمع بيوتكم كلها في يدي، فانثرها كما ينثر الزارع حبه بين السهل والغابة.

تمنيت ولو أن طرقاتكم أودية، ومسالكم مروج خضر، فيسعى كلّ منكم بين الكروم إلى صاحبه، وتعودوا وقد علق عبر الأرض بثيابكم.

ولكن لم يحن أوان ذلك بعد

فقد تملّك الخوف قلوب اجدادكم، فحشدوكم وشدّوا بعضكم إلى بعض.

وليبقيّن هذا الخوف الى حين. والى حين ستبقى أسوار مدينتكم حوائل بين بيوتكم وحقولكم».

كأنّي في مسرح أو مدرج مغلق سعته عشرون مليون شخص، وأمامنا شاشة هائلة عرضها كيلومترات وارتفاعها مئات الأمتار، وفي الخلفية نسمع رائعة Vangelis «غزو الفردوس»<sup>١</sup>. لم يكن ضمن الحضور جزء من الشعب السوري مؤلف من جنود عددهم نصف مليون، كذلك واحد ونصف مليون من مخبرات وأمن مختلف الأنواع... اختفوا كلهم كأشباح كانت تسكن في قلاع من الأسمنت المسلح. عرفتُ منها القلعة المثلثة على زاوية ساحة التحرير مقابل كلية الفنون الجميلة سابقا في دمشق، وعلى الحواجز في المدن، وحدود البلاد وعلى أطراف الحواضر والمدن وفي كل مكان... تركها الأشباح في ٢٠٢٤/١٢/٨! ومن بعيد في الأفق، قبل الغسق بقليل، فرسان على أحسنه بيضاء يرفعون رايات المتشدّدين، خلفهم قرص شمس أرجواني هائل تؤكّد «كونتور» أجسادهم وخيولهم المشعّة، القادمين باتجاهنا!

رَبِّمَا يقول أحد ما: هذا فيلم سينما من هوليوود! لكن هذا ما حصل في سوريا في اليوم المذكور بعد ٦٠ عاما من البروبغاندا والصراخ وحكم العسكر، الذي بدأ بشعارات «تسقط الرجعية والاقطاع والاستعمار» وانتهى بأنّ الجيل الثاني والثالث من الحكام أخذ مكان الرجعية والاقطاع والبورجوازية! اكتشف المواطن أننا جمهورية موز، تعيسة كما في جنوبي أمريكا وأفريقيا، لا أكثر ولا أقل!

بأي نظام نعيش؟ تلعب فيه الاستخبارات المركزية كل شيء، ورجال النظام الذين أربونا طيلة حياتنا، ينسحبون بهدوء مريب ويختبئون كالجرذان الهاربة من التسونامي الأطلسي الضارب في شواطئ جزر جنوب آسيا! يدرك الفرد

١ الموسيقى التصويرية لفيلم يحمل نفس الاسم «غزو الجنّة» ("Conquest of paradise")، ويحكي عن قصة البحار الأوربي كريستوفر كولمبس واكتشاف العالم الجديد (الأمريكتين)، ومشاهدة الهندو الحمر لأول مره في جزر البهاماس.

٢ ص. ٩٥-٩٦، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٧٩.

فراغ ديني على: قاعة للصلاة أو للعبادة، قاعة تدريس، غرفة ادارة، تواليتات، مستودعات، مكتبة صغيرة، ومطعم أو كافيتريا صغيرة. العناصر الخمسة منفصلة فيزيائياً! العناصر المشتركة هي صالة احتفالات واجتماعات مشتركة، بالإضافة الى مواقف السيارات!

### تعليقات الأصدقاء

م. ن.: مشروع رائع .... فمن يطرح المشروع؟؟؟... ونخاف أن يتفقوا فنكون أمام دين سادس... عوض أن يعرفوا [أنه] لا وجود للأديان، بل [أن] هناك دين واحد لله...

ك. م.: إضافة قسم خاص باللاديين سيجعل من المشروع مكاناً جميلاً

ف. ص.: أنا مع مشروع السيد كرم لأن المشروع حضاري ومستقبلي، وهناك أناس ملحدون لادين لهم ولا طائفة

م. ع.: فكرة رائعة. أنا أظن بأن عملية بناء المجتمع تبدأ بخطوة تليها الأخريات، ومع التقدم تأتي الخطوات المكتملة. وهذا المشروع يمثّل الدرجة الأولى من السلم الذي يصعده الإنسان بهدف السمو إلى مجتمع متطور. وما يطرحه البعض في نقدهم، ما هو برأيي الشخصي إلا عبارة عن الرغبة بالوصول إلى الهدف السامي بأقصى سرعة ممكنة. وأنا أشبه من يملك هذه الرغبة بالذي يريد أن يصعد على السلم وذلك من درجته الأولى إلى الدرجة الأخيرة مع تجاهل الدرجات الواقعة بين الدرجة الأولى والأخيرة. المناخ الموجود في المجتمعات العربيّة يتطلّب أولاً زرع فكرة تقبل الآخرين على اختلاف معتقدات، عقول، ونفسيّات أفراد المجتمع. وبهذا يتولّد مناخ يؤهل للتطوّرات المرجوة. فيجب علينا ألا نتجاهل تحكّم الأديان، الرهيب بقوّته، في عقول أفراد مجتمعنا. ومن يريد تطوير المجتمع عليه مخاطبة جميع أفراد المجتمع، ومن أهمهم أولئك الذين يقعون تحت تأثير الدين

جبران يتحدث في المقطع المذكور عن خوف الناس في سوريا من بعضهم البعض، من خوف الطوائف الدينية من بعضها البعض. ربما يكون هناك دور للمعماريّ في صياغة فراغ ما يساعد على فهم الآخرين، وبالتالي يساهم في محاربة مقوله علي بن ابي طالب «الإنسان عدو ما يجهل». ربّما يمكننا أن نقدّم مسرحاً يمكن للفرد فيه ان يتعرّف على الآخر. كانت تلك فكرة مشروع «أرض الديانات الخمسة» الذي أعطيته لطلابي في التصميم المعماريّ، في كلىة العمارة في الجامعة الدولية بدمشق، في بداية الحرب السورية!

### نصّ مشروع أرض الديانات الخمسة

المشروع هو تطوير مركز للأديان الخمسة: الهندوسية، البوذية، الاسلام، اليهودية، والمسيحية. هذه المراكز الخمسة تُجمع في تركيب عمراني يقربها من بعضها البعض. كلّ دين له بيته مع أساساته. كلّ يقف على قدميه لكنهم يكملون بعضهم في الحياة اليومية، وهم الى حد ما يكبرون وينمون سوياً.

يرجى تطوير المباني انطلاقاً من صالة التعبّد المثالية، والتي تركز كل منها على اتجاه الصلاة وعناصر الصلاة المعماريّة، التي تستند الى الأشكال الأولى المنحدرة من التعاليم الدينيّة. الى جانب ذلك يتطلّب كلّ دين وظائف يوميّة خاصّة به تحتاج لفراغ. بالإضافة الى فراغ عام (قد يكون مطعمًا صغيرًا) يدفع الناس ليقترّبوا من بعضهم البعض.

المهمّ في الحلّ المختار استقلال كلّ دين واعطائه نفس حقّ الوجود مثل الآخرين. يُراعى في التصميم عمارة الاستدامة التي توفر الطاقة وتؤمن الطقس الملائم للمستخدمين، دون الحاجة الى الافراط في استخدام الطاقة (مثل المكيفات).

عناصر التصميم: يجب أن يتألّف التصميم من خمسة عناصر متشابهة في الشكل (دون أن تكون متطابقة). كلّ منها يستند في المسقط إلى مربع أبعاده ١٥ في ١٥ م، ويحتوي كل

واقعية... هذا المسار صعب جدًا على السوريين وعلى جيرانهم، فهو مسار حضاريّ يتطلّب الكثير من الوقت والجهد للوصول اليه، لكن بدونه نصبح مثل الأيديولوجيين الذين يرون الدنيا بعين واحدة، ويغلقون الأخرى عن أي شيء آخر!

ج.ع.: ... ولكن هل سيتمّ تنفيذ هذا المشروع لدى جهة معينة ام أنّه دراسة؟ ثمّ هل يكفي بناء هكذا مجمّع لبحث الناس عمّا يجمّعهم؟ أم أنهم دائماً سيبحثون عن الاختلاف فيما بينهم؟"

## خطوات اخرى



في العام ٢٠٢٥، تبدو سوريا مثل قلعة سوداء مصمتة مغلقة، ونحن تقف على اسوارها، ننتظر بفارغ الصبر.

طبعا الخطوات الاخرى لن تكون محصورة فقط في الأديان السورية، ربما يأتي مشروع آخر يتمدد ليشمل الإثنيات والقوميات، أو المناطق الجغرافية، أو العادات... لا يمكن نبداً بتكوين دولة كما كانت قبل ١٧٨٩ (الثورة الفرنسية)! فمتى سنصل القرن ٢١! أمثلة عن رموز دينية متسامحة معروفة وموجودة: البطرک اغناطيوس الرابع هزيم<sup>٢</sup> كان يقول: عيشوا مع بعضكم في حياتكم اليومية، هذا أفضل من الفلسفة والتفسير! الأمير كريم اغا خان راس الطائفة الإسماعيلية، المثقف، أوجد جائزة الآغا للعمارة الإسلامية، فريدة في تفاصيلها! البابا فرنسيس الذي توفي يوم أمس اثنين البعوث (٢٠٢٥/٤/٢١)، كان يغسل في كل خميس مقدّس أرجل السجناء في سجون روما، وكان مدافعاً عن الذين لا يملكون حقوقاً! أليس هذا ما يجب أن يكون عليه المعماريّ! قيامة مجيد لسوريا التي لا تزال في بحر الظلمات إلى أن تعبر إلى بحر الأنوار!

## السوريون والحقيقة المجردة

ربّما نصل إلى يوم لنكون جمهورية تبحث عن الحقيقة الخالصة وتكتب كل شيء ... كل شيء.. بتجرّد وتاريخية

٣ البطرک اغناطيوس الرابع هزيم (١٩٢١-٢٠١٢) هو بطرک انطاكيا وسائر المشرق للروم الأرثوذكس، دمشق، خليفة بطرس وبولس لأنطاكية العظمى، من ٢ تموز ١٩٧٩ وحتى ٥ كانون الثاني ٢٠١٢. مؤسس جامعة البلمند والعديد من المؤسسات الارثوذكسية، راهب، عفيف، اسميه فيلسوف انطاكيا!